

يخبرنا نقاد الشعر أن الأعشى فاق بخمرياته الشعراء فكان إماماً لمن جاء منهم بعده . ويخبرنا الرواة أن سبب عدول الأعشى عن الاسلام هو الخمر . ويخبروننا فيما يروون أن بعض ولاة اليمامة سأل عن دار الأعشى فدل عليها ؛ وسأل عن قبره فأخبر بأنه في فناء الدار . فقصد إلى هذه الدار ، ورأى القبر فإذا هو رطب . فسأل عن علّة رطوبته فأخبر بأن الفتيان يجتمعون حول القبر فيشربون ، حتى إذا جاء دور الأعشى صبوا نصيبه فوق قبره . مثل هذه الأخبار ، إن تكن أقرب إلى قصص القصاص منها إلى الحقيقة الواقعة ، فهي تصور لنا الأعشى في صورة لا تبعد عن الحقيقة إلا بقدر ما فيها من مبالغات الرواة التي يقصد بها إلى استمالة الآذان إلى حديثهم . فشأننا حين نقرأها شأن الذي يقرأ قصة تاريخية . لا يصدق كل ما جاء فيها من دقائق وتفصيل . ولكنها في جملتها تصور العصر والأشخاص الذين كتبت عنهم .

وإذا كان قصص الرواة لا يعدو في قيمته هذا الحد فهو صحيح في خمريات الأعشى . فقد رووا له في الخمر ما يقرب من مائة وخمسين بيتاً ، وهو قدر يكاد يوازي مجموع ما روى لغيره من الشعراء الجاهليين في الخمر أو يزيد . وقد جاء مبعثراً في دواوينهم ، لم يقصدوا فيه إلى وصف الخمر ، ولكنهم ذكروها لبعض المناسبات ، ومروا بها مرورا سريعا . قالوا إنها حمراء ، وأن ريحها طيب فواح كالمسك ، وأنها معتقة . وشبهوا بها رضاب صواحبهم . ووصفوا الساق الذي يحملها إليهم في بعض الأحيان . فامرؤ القيس بذكر الخمر حين يقف بالديار ، فيشبه نفسه بالثمل ليصور لنا ذموله وما أخذت هذه الآثار من نفسه ، فيقول :

فظللّت في دِمْنِ الديار كأنني نشوانُ باكره صبُّوح مُدَام